

أضواء البيان

@ 45 @ .

وقيل : الكتب القيمة : هي القرآن ، فجعله كتباً ، لأنه يشتمل على أبواب من البيان . .
وذكر الفخر الرازي : أنه يحتمل في كتب أي الآيات المكتوبة في المصحف ، وهو قريب من قول
الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه . .

وقال الشوكاني : المراد : الآيات والأحكام المكتوبة فيها ، وهذه المعاني وإن كانت صحيحة
، إلا أن ظاهر اللفظ أدل على تضمن معنى كتب منه على معنى كتابة أحكام . .

والذي يظهر أن مدلول كتب على طاهرها ، وهو تضمن تلك الصحف المطهرة لكتب سابقة قيمة ،
كما ينص عليه قوله تعالى : { بَلْ تُوْثِرُونَ الْحَدِيثَ وَالدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ
خَيْرٌ وَأَبْقَى } ، ثم قال : { إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ
إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى } ، وكقوله في عموم الكتب الأولى : { قَالُوا يَا قَوْمِ مَنْ
إِنَّمَا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ } ، وقوله : { نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ } . .

ولذا قال : { وَاللَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ يُكْتَبُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ نَسَبًا مِّنْ بَعْضِهِمْ
مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ } ، أي بما فيه من كتبهم القيمة المتقدم إنزالها ، كما في
قوله : { وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا لِّمَنِ
الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ } . .

وقوله : { إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يُقْصَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ
الَّذِينَ هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } . .

وقال : { وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ
يَدَيْهِ } ، ونحو ذلك من الآيات ، مما يدل على أن آي القرآن متضمنة كتباً قيمة مما
أنزلت من قبل ، وقد جاء عملياً في آية الرحمان وقوله : { وَكَتَبْنَا لَهُ الْإِنشَافَ عَلَيْهِمْ
فِيهِآ } أي في التوراة { أَنْ نَزَّلَ الْإِنشَافَ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ } ،
فهذه من الكتب القيمة التي تضمنها القرآن الكريم ، كما قال : { وَلَكُمْ فِي
الْقُرْآنِ حِكْمَةٌ } . .

ولعل هذا بين وجه المعنى فيما رواه المفسرون عن الإمام أحمد ، أن الرسول صلى الله عليه
وسلم قال لأبي بن كعب (أُمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ سُورَةَ الْبَيِّنَةِ ، فقال : أو ذكرت ، ثم) .

